١٦ ــ مؤتمر السكّان بالقاهرة[1]

● الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

في هذه الأيام ينعقد في القاهرة.. قاهرة الأزهر.. قاهرة الدعوة إلى الإسلام.. القبلة الثقافيّة للمسلمين في أنحاء الأرض، يشاء الله أن ينعقد فيها مؤتمر يسمّى: مؤتمر السكّان والتنمية، تعقده الأمم المتحدة في مصر.

ليته لم ينعقد بمصر:

وكما قلت في مصر: كنّا نربأ بمصر ـ بلد الأزهر وعاصمة العروبة وقلب الإسلام الخافق ـ أن تستضيف مثل هذا المؤتمر، حتى لا يسير في جنباتها أولئك الشواذ: دعاة الشذوذ الجنسي، الذين يتزوّجون من جنسهم: الرجال بالرجال والنساء بالنساء!.

هذه الجمعيات الشاذة ما كان للقاهرة أن تستقبلها، كان عليها أن تغلب القيم الدينية والاعتبارات الأخلاقيّة على القيم الاقتصاديّة والاعتبارات السياحيّة.

ولدينا العبرة من السيرة النبويّة، بل من القرآن الكريم ذاته.

حينما أرسل النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب ليلحق بأبي بكر في موسم الحج

---

(١) انعقد في الفترة من ٥ إلى ١٣ من سبتمبر ١٩٩٤م، تحت رعاية هيئة الأمم المتحدة، وبمشاركة أكثر من عشرين ألفاً من أعضاء الوفود يمثلون (١٩١) دولة من أعضاء المنظمة الدوليّة.

من العام التاسع للهجرة، ليعلن في النّاس مبادىء أساسيّة منها: إنّه لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وكان في إعلان هذه المبادىء خسارة ماديّة واقتصاديّة على أهل مكّة، قالوا: كنّا نستفيد من هؤلاء كثيراً.

ولكنّ القرآن نزل يحسم القضيّة، ويبيّن الحقائق، فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: ٢٨].

«وإن خفتم عيلة» أي: فقراً وحاجة، «فسوف يغنيكم الله من فضله» بموارد أخرى لا تحسبون حسابها، وقد كان، فقد فتح لهم البلاد، وأقبل عليهم الفيء غدقاً، ووسع الله عليهم من فضله.

وثيقة المؤتمر المثيرة:

كنّا نودّ أن ترفض القاهرة هذا المؤتمر، أما وقد انعقد هذا المؤتمر، فقد ثار لغط كبير، وثارت مجادلات شتّى حول مشروع برنامج هذا المؤتمر، الذي أُعدَّ في شكل وثيقة أعدّها المسؤولون عن هذا الجانب في الأمم المتحدة.

هذه الوثيقة، أو هذا المشروع، ترجم باللغة العربيّة، في مائة وإحدى وعشرين صفحة من الصفحات (الفولسكاب) الدقيقة.

يذكر فيها اسم الله قط:

وثيقة مطوّلة لم يذكر فيها اسم الله قط، لا في أوّلها، ولا في أوسطها، ولا في آخرها، و«كل أمر ذي بال لا يُبدأ ببسم الله فهو أبتر»[1]. فكيف بأمر

---

(١) قال الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث (الإحياء) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة (١/٢٠٦) ط. دار المعرفة ببيروت.

يتعلّق بالعالم كلّه لا يذكر فيه اسم الله أبداً، لا تذكر فيه القيم الإيمانيّة ولا الأخلاقيّة باعتبارها محرّكات وضوابط، ودوافع لفعل الخير، وروادع عن ارتكاب الشر؟!.

هذه هي الوثيقة، أو هذا هو المشروع الذي قُدّم ليكون أساس المناقشات في مؤتمر القاهرة.

عُزل الدين، وعُزل الإيمان بالله، وعُزل الإيمان باليوم الآخر، وعُزلت قيم السماء عن هذه الوثيقة.

لا تلازم بين زيادة السّكّان والفقر:

تربط هذه الوثيقة ـ أو هذا المشروع ـ ما بين زيادة السّكّان ونموّهم المطّرد في العالم وما بين الفقر ربطاً لزومياً، كأنّها معادلة حسابيّة رياضيّة: إذا زاد السّكّان وُجد الفقر!.

وهؤلاء أناس ينقصهم الإيمان بالله، الإيمان بأنّ لهذا الكون ربّاً خالقاً رازقاً، تكفّل منذ خلق هذه الأرض برزق من فيها وما فيها من الأحياء.

ليس لهذا الأمر ذكر عندهم، ولا يجري في بالهم، ولا يدور في خواطرهم.

إذا زاد السكان وُجد الفقر! وهذا قاله أحد الاقتصاديّين منذ القرن الماضي اسمه: (مالتوس)، كان ينذر العالم بكارثة خطيرة بعد سنين قليلة، أو عقود قليلة من السنين.

ومرّت عشرات السنين، ومرّ قرن أو أكثر، ولم تحدث الكارثة، لأنّ الله هيّأ للناس أسباباً لم يكونوا يعلمونها، الحاجة تفتق الحيلة، وقد علّم الله الإنسان ما لم يكن يعلم: ﴿.. وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

استطاع الناس أن يزرعوا أراضي جديدة، وأن يعرفوا فنّ زراعة الصحراء،

وأن يقلّلوا من استخدام الماء، بعد أن كانوا يروون بغمر الأرض بالماء، أصبحوا يروون عن طريق الرشّ أو عن طريق التنقيط، ويحاولون أن لا يتبخرّ الماء ويضيع سدى.

بل حاولوا زيادة الإنتاج في الأرض المزروعة نفسها عن طريق تحسين البذور، أصبحت الأرض ـ المساحة نفسها ـ تُؤتي أكلها أضعاف ما كانت تُؤتي من قبل.

هيّأ الله للناس بواسطة قوانين الوراثة والتطعيم والتهجين في الحيوانات والنباتات، تحسين النّوعيّة وتحسين الكيفيّة. واستطاع الإنسان أن يستخدم الطاقة الشمسيّة.

هيّأ الله للنّاس أسباباً لم تكن تخطر لهم على بال، وهؤلاء يظنون أنّ العالم اليوم هو سيكون عالم الغد وما بعد الغد، ما يدريكم أنّ الله سيفتح للنّاس أبواباً لا تخطر لأحد على بال: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

الله هو الرزاق:

إن الله تعالى من أسمائه: (الرزّاق)، يقول عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هذا تكفل من الله عزّ وجل]، ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٢ ـ ٢٣].

الرزق موجود، مبثوث في هذا الكون، مذخور في باطن الأرض، أو منشور على ظاهرها، منه ما عرفه النّاس ومنه ما لا يعرفوه، منه ما لا يزال الإنسان يجهله، حوالي ثلاثة أرباع هذه الكرة مياه: بحار ومحيطات، سخّرها الله

للإنسان، ولم يكتشف الإنسان كل ما في البحر، ولم يصل إلى كل ما في البحار، ولم ينتفع بكلّ ما يعرفه في البحار.

الأرزاق موجودة، وعلى الإنسان أن يبحث ويفكّر ويسعى في مناكب الأرض، ويلتمس الرزق في خباياها، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥].

فمن مشى في مناكب الأرض، من فكّر وبحث وسعى واجتهد وكدح، فإنّه جدير أن يأكل من رزق الله في هذه الأرض، ومن تقاعس وتقاعد وتكاسل، فهو جدير أن يحرم من رزق الله.

إنّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضّةً كما قال عمر رضي الله عنه، ولكن على النّاس أن ينتشروا في الأرض ويبتغوا من فضل الله، ويبحثوا عن رزقهم ليصلوا إليه.

بين الجاهليّة القديمة والجاهليّة الحديثة:

إنّ أهل الجاهليّة قديماً كانوا يقتلون أولادهم، إمّا من إملاق واقع، أو خشية إملاق متوقّع، فقال الله عز وجلّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ . .﴾ [الأنعام: ١٥١] إذا كان الفقر واقعاً، فقدّم كفالة رزقهم على رزق أولادهم، وفي سورة أخرى قال: ﴿. . وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾ [رزقهم مكفول لهم قبل أن يُخلقوا]، ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

والجاهليّة الجديدة تريد أن تقتل الأطفال، ولكن في بطون أمّهاتها، عن طريق الإجهاض، لا. . لا ينبغي أن يُقتل الأولاد، لا ينبغي أن نستسلم لهذه الجاهليّة الحديثة.

الرزق موجود، مبثوث في الأرض، منذ خلق الله هذه الأرض: ﴿. . وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ۖ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ

دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١٠]. قبل أن يسوّي الله السماء خلق الأرض ﴿. . . وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا. .﴾ الأقوات مقدّرة في هذه الأرض.

صحيح أنّ الله لا ينزل الرزق للناس بكثرة وبسطة، حتى لا يطغوا ولا يبغوا في الأرض: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧] ينزّل كلّ شيء بقدر: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١]، حسب تقدير الله وحكمته، يظهر الشيء في أوانه.

الله تعالى يقول في سورة أخرى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ . .﴾ [الأعراف: ١١] أي قبل أن يخلق الله آدم ويخلق البشريّة، مكّن لهم في الأرض وجعل لهم فيها معايش، هيّأ لهم معايشهم ثمّ خلقهم، ولكن هؤلاء كأنّما يعترضون على الله، ويظنون أنّهم متحكّمون في كلّ شيء، وينسون أنّ الله هو الخالق، وأنّ الله هو الرازق، وأنّه مدبّر الأمر كلّه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

الرزق بيد الله، فلا ينبغي أن نربط ما بين زيادة السّكّان والفقر لا محالة، فإنّ الله سيهدي النّاس إلى طرق وأساليب تهيىء لهم المعايش والأرزاق التي ضمنها الله تعالى لهم.

تنظيم الأسرة لنسلها لمبرّرات شرعيّة مقبول:

لا مانع من أن تتدبّر الأسرة المسلمة أحوالها، وأن تحاول تنظيم النّسل، لا مانع أن يتفق الزوج والزوجة ـ كلاهما مع صاحبه ـ على أن يكون الحمل في فترات معقولة، ما بين كل طفل وآخر فترة من الزمن، حتى تستريح الأم من ناحية وحتى يتهيأ للأ سرة. . الرعاية الصّحية، والرعاية التعليميّة، والرعاية الاجتماعيّة، فقد أصبح الناس الآن يعيشون مستقلّين، وغدت تربية الأطفال

تحتاج إلى جهد جهيد، ومتابعة مستمرّة.

في الزمن الماضي كانت الأسرة يعيش بعضها مع بعض، يعيش الولد مع أبيه وأمّه، وتأتي زوجة الابن فتقول لها حماتها ـ أم الزوج: عليك أن تلدي وتنجبي أولاداً، وعليّ أن أربّي! الآن لم يعد هذا، أصبح النّسل يكلّف أهله تكاليف كثيرة، فلا مانع من تنظيمه.

على أن يكون هذا من حقّ الأسرة، ومن اختيار الأبوين، أمّا أن يكون هذا فلسفة عامّة للبشريّة كلّها وللنّاس جميعاً. فهذا ما نرفضه.

وسائل مرفوضة لغايات غير محمودة:

هذه الوثيقة، أو هذا المشروع الذي قدّم للمؤتمر، قام على هذا الأساس، وأراد أن يعالج هذا الهدف ـ الذي هو نفسه ليس بمقبول في نظر القيم الدينيّة الأصلية، بوسائل وأساليب أكثرها أيضاً ـ أو كثير منها على الأقل ـ مرفوض في ميزان الدين . . . في ميزان الخلق. . . في ميزان الشرائع السماويّة كلّها.

يريدون إباحة الإجهاض بلا قيود:

من هذه الوسائل ذكروا: الإجهاض، وتحت عناوين شتّى: الإجهاض المأمون. . تخفيف الأمر على المرأة الحامل. . الحمل غير المرغوب فيه. . الخ، وهذا كلّه ليس بمقبول إسلاميّاً ولا دينيّاً، حتى بابا الكاثوليك وقف ضد هذا بقوّة، وهنا اتفق الأزهر والفاتيكان، ووقف المسجد والكنيسة معاً ضدّ الطوفان المدمّر للأديان.

احترام الإسلام لحياة الجنين:

إن الإسلام يُعطي للجنين حقّ الحياة، ولا يجيز لأحد ـ ولو كان أباه أو أمّه الاعتداء عليه، لأنّه كائن حيّ محترم، ولو جاء من حرام.

المرأة التي جاءت إلى النبي ﷺ تطالبه أن يطهّرها، ويقيم حدّ الله عليها، وتقول له: إنّها حُبلى من الزنى، فماذا قال لها النبي ﷺ؟ قال لها: «فاذهبي حتى تلدي»، أي إن كان لنا سبيل عليك فما لنا سبيل على ما في بطنك، ما في بطنك مخلوق لا ذنب له حتى نقيم الحد عليك وعليه، وذهبت المرأة أشهراً ثمّ عادت وقد وضعت وليدها، فقالت: ها أنا قد وضعت يا رسول الله، قال: «اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه»[1].

هكذا يحترم الإسلام الجنين الكائن الحيّ في بطن أمه، ويرتّب على ذلك أحكاماً، فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تصوم رمضان إذا كان صيامها يضرّ بجنينها، وعليها أم تفطر حتى لا تؤذي هذا المخلوق في رحمها، هذا ما يريده الإسلام.

ولكن هؤلاء يريدون الإباحيّة الجنسيّة، أطلقوا العنان للشهوات، ثمّ إذا حملت المرأة أعطوها حقّ التخلّص منه، وقالوا: إنّها حرّة في جسدها!.

إنّ هذا ليس جسدها، هذا كائن آخر أدخله الله عليها، فليس من حقّها أن تقتله، لأنها لم تهب له الحياة، الله هو واهب الحياة، فلا يجوز لأحد من مخلوقاته أن يستلبها بغير إذنه.

الإجهاض من الأمور الخطيرة التي تضمنّتها هذه الوثيقة، المتضمنة لمشروع برنامج هذا المؤتمر.

تعدّد أشكال الأسرة في الوثيقة:

من الأشياء الخطيرة التي تضمّنها هذا المشروع، ما جاء في الصفحة التاسعة والعشرون: إنه ينبغي على الجميع أن يقدّموا الدعم للأسرة، مع الأخذ في الاعتبار تعدّد أشكال الأسرة!!.

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، باب: «حدّ الزنا».

نحن نعرف شكلاً واحداً للأسرة، هذا الشكل هو ارتباط بين رجل وامرأة، بعقد شرعيّ له أركانه وشروطه، وبهذا العقد وهذا الارتباط تنشأ الحياة الزوجيّة، تنشأ الأسرة المسلمة، وهذا آية من آيات الله، ذكرها الله تعالى في كتابه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

هؤلاء يقولون: هذا شكل من أشكال الأسرة، ولكن هناك أشكال أخرى.

هناك أسرة بلا عقد، اثنان يعيشان معاً وليس بينهما عقد زواج، ليس بينهما ارتباط شرعي يكلّف كلاً منهما حقوقاً وواجبات تجاه الآخر.

وهذا ـ للأسف ـ ما لاحظته في أوروبا: إن كثيراً من الشبّان والبنات يرتبط بعضهم ببعض ويعيشون معاً، ولكن دون زواج.

حينما كنت أُعالِج في صيف سنة (١٩٨٥م) في مدينة (بون) بألمانيا، سألت الممرضات اللاّئي كنّ يشرفن على تمريضي: هل هنّ متزوّجات؟ لم أجد منهنّ متزوجة، كلهن (MISS أي: آنسة ـ وليس (MRS) ـ أي: متزوّجة ـ كما يقولون.

وعرفت السبب في هذا: إنّ الزواج مسؤوليّة، ولماذا يتحملون المسؤوليّة؟

الشاب يتنقل من واحدة إلى أخرى، والفتاة تنتقل من واحد إلى آخر، وإذا أعجبها شخص تعيش معه سنة.. سنتين.. ثلاثة، ثمّ تبحث عن غيره، كما يبحث هو عن غيرها.

فهذا شكل من أشكال الأسرة: الحياة معاً دون ارتباط ودون عقد.

الأسرة ذات الجنس الواحد!:

ومن أشكال الأسرة: الأسرة ذات الجنس الواحد، أي: الأسرة مكونة من رجلين، أو مكونة من امرأتين، يتزوّج الرجل الرجل، وتتزوّج المرأة المرأة!!.

جمعيّات الشواذ المنتشرة في العالم، هؤلاء ـ للأسف ـ جعلوا هذا شكلاً من أشكال الأسرة ينبغي أن يدعم!.

كيف ندعم هؤلاء الذين خرجوا على فطرة الله، وعلى شرائع السماء، وعلى قيم الأخلاق كلّها؟!.

يتزوّج الرجل الرجل!! وللأسف أقرّت هذا بعض القوانين في أوروبا، وباركت ذلك بعض الكنائس، وبعض القسس يخرج في (التلفاز) ويقول: القس الفلاني يعقد عقود زواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء!!.

هذا ما يريدون منّا أن نقرّه: تعدّد أشكال الأسرة.

الله سبحانه وتعالى ذكر لنا قوم لوط، وكيف عاقبهم بعذابه، وأنزل عليهم نقمته، وصبّحهم بكرة عذاب مستقر، وجعل قراهم عاليها سافلها، وأمطر عليهم: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[1] [هود: ٨٢ ـ ٨٣]، أجل ليست عقوبة الله ببعيدة عن هؤلاء الظالمين!.

كيف نقرّ عمل قوم لوط؟! وكيف نقرّ السحاق بين النساء؟! وقد خلق الله الزوجين الذكر والأنثى، وركّب في كلّ منهما الميل الفطري إلى الآخر، وجعل من وراء ذلك الإنجاب وبقاء الحياة البشريّة إلى ما شاء الله.

هؤلاء وقفوا ضدّ فطرة الله، وفطرة الكون، وشرائع السماء كلّها.

الوثيقة تدعو إلى تأخير الزواج:

هذه الوثيقة تتحدّث عن العمل على تأخير الزواج، لا ينبغي أن يتزوّج الإنسان مبكراً، وتقدّم البدائل، له حين يتزوّج، ومعنى تقديم البدائل إتاحة

---

(١) وأوّلها: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها..﴾.

فرص الشهوات الحرام إلى أن يأتي وقت الزواج! فهؤلاء لا يحترمون شريعة ولا ديناً.

هؤلاء وقفوا من هذا الأمر موقف الإباحيّة والتحلّل.

القرآن يقول: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ..﴾ [النور: ٣٢]، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج..»[1]، وهؤلاء يقفون ضدّ هذا كلّه.

هذه الوثيقة وهذا المشروع المقدّم لمؤتمر القاهرة تضمّن أشياء كثيرة مخالفة للإسلام، بل مخالفة لجميع الأديان، لا يقبلها دين من الأديان،، ولا شريعة من الشرائع، بحال من الأحوال.

عزل الأسرة عن العلاقات الجنسيّة لأولادها:

جد في هذه الوثيقة: إنّ على الجميع أن يساعدوا المراهقين والمراهقات، وأن يقدّموا لهم الثقافة والمعلومات الجنسيّة والتناسليّة، وأن يساعدوا مقدّمي الرعاية الصّحيّة، بحيث يكون هناك خصوصيّة، وسرّيّة لهؤلاء المراهقين، ولا تتدخّل الأسرة في شأنهم!!.

يريدون رفع وصاية الآباء والأمّهات عن الأبناء والبنات، النبي ﷺ يقول: «كلكم راع ومسؤول عن رعيّته... والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيّتها...»[2]، ولكن هؤلاء يريدون

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، واللفظ لهما، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وتتمّته: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنّه له وجاء» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠ برقم ١٠٩٥).

(٢) من حديث ابن عمر الذي رواه البخاري ومسلم، انظر: (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٥٥٣ برقم ١١٠٨).

أن يمحوا هذه الرعاية، فلا تكون الأسرة مسؤولة عن أبنائها وبناتها، بل يمضي كلّ منهم وراء المتع والملذات، كما يشتهي.

نحن لا نمانع، بل هو مطلوب شرعاً أن نقدّم لهم التثقيف الجنسي الصحيح، في جوّ من الجدّيّة والوقار والإيجابيّة، والإسلام أعطانا في هذا أشياء كثيرة وتوجيهات مفيدة، ولكن ليس معنى هذا أن نتيح لهم الاتصال المحرّم في فترة المراهقة، وإذا حملت الفتاة علينا أن نجهضها، ما هذا؟!.

وصاية فكريّة وأخلاقيّة علينا من العالم الجديد:

هذه مجتمعات غربية جاءت تريد أن تفرض نفسها علينا، تريد أن تفرض الوصاية الفكرية والأخلاقية، ولا تكتفي بالوصاية السياسيّة.

العالم الجديد، أو النظام العالمي الجديد، لا يكتفي بأن يفرض وصايته السياسيّة علينا، حتى يريد أن يفرض الوصاية الفكريّة، والوصاية الأخلاقيّة والسلوكيّة على حياتنا، وأن يلزمنا بقيمه وأخلاقه وسلوكيّاته. وما خلقنا الله عبيداً لأحد، وما خلقنا الله أذناباً لأحد، نحن لنا ديننا ولهم دينهم.

ليسوا نصارى ولا مؤمنين بدين:

مع أنّهم لو كانوا نصارى حقّاً.. لو كانوا مسيحيين متبعين لتعاليم المسيح عليه السلام، لوجدوا دينهم ينهاهم عن مثل هذا، ولكن هؤلاء لا دين لهم، ليسوا نصارى ولا مسلمين ولا بوذّيين ولا غير ذلك، هؤلاء انخلعوا من كلّ دين وأرادوا أن يفرضوا هذا على العالم.

لهذا وقف المسلمون ضدّ هؤلاء، وقف مجمع البحوث الإسلامية، ولجنة الفتوى بالأزهر، والجماعات الإسلاميّة، والنقابات المهنيّة، في مصر، وفي المملكة العربية السعوديّة: هيئة كبار العلماء، ورابطة العالم الإسلامي، وفي البلاد الإسلاميّة المختلفة هاج الناس هنا وهناك، وطالبوا بمقاطعة المؤتمر، وكنّا نودّ لو قوطع المؤتمر.

ولكن لا مانع من حضور المؤتمر، إذا حضرنا ونحن متماسكون لا مستسلمون، ونحن متحدون لا متفرّقون، ونحن أمامنا قيم عليا نؤمن بها ونكيف حياتنا وفقاً لها، ليست ممّا صعد من الأرض ولكنها ممّا نزل من السماء.

نحن الأمّة الوسط: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . .﴾[1] [آل عمران: ١١٩٠]. نحن شهداء على البشرية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . .﴾ [البقرة: ١٤٣].

الخوف من تنامي العالم الإسلامي:

إنّ هناك أشياء كثيرة في هذا المؤتمر لا يرضى عنها الله ولا رسوله، ولا رسله جميعاً، ولا المؤمنون وهناك أشياء خلف هذا المؤتمر لم يعلنوا عنها، إنّهم يخافون ممّا سمّوه: تنامي العالم الثالث، وفي الواقع هم يخافون من تنامي العالم الإسلامي[2].

العالم الإسلامي يزداد يوماً بعد يوم، وهم يتناقصون يوماً بعد يوم، وهذا أمر طبيعي إذا كان الناس يخافون من تحمّل أعباء الأسرة، قال لي أحد الأطباء ـ وكان يشرف عليه طبيب كبير في بريطانيا لكنه لا ينجب ـ وسأله: لماذا لا تنجب؟ قال له: ولماذا أنجب؟! أعطني مبرراً واحداً يجعلني أنجب!.

هذا الإنسان كأنّه يريد أن يحكم على البشريّة بالفناء بعد جيل واحد، فلو أنّ كلّ الناس امتنعوا عن الإنجاب لكان معناه: أن تنتهي البشريّة.

---

(١) وتتمّتها: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾.

(٢) تشير أوراق المؤتمر الدولي للسكّان والتنمية بوضوح إلى اختلال التوزيع الإقليمي لسكّان العالم، وأنّه في الفترة من (١٩٩٥م) وحتى (٢٠١٥) يُتوقع أن يتزايد سكان المناطق الأكثر نمواً (أي أوروبّا وأمريكا) بماة يقارب (١٢٠) مليون نسمة، بينما سيتزايد سكان المناطق الأقلّ نموًّا بما قدره (١٧٢٧) مليرن نسمة أي أكثر من (١٤) ضعفاً.

البشريّة أعطته وجوده، كأنّ عليه أن يعطي كما أخذ، خصوصاً أنّه رجل في القمّة من العلم، كان عليه أن يتحمّل المسؤولية ويربّي جيلاً. طفلاً أو طفلين على الأقل، لكنّه يريد أن يعيش لنفسه.

العالم الغربيّ يريد أن يعيش على اللّذّة والمتعة، ولا يريد حتى من أولاده أن يزاحموه في متعته ولذّته، كأهل الجاهليّة!.

النبي عليه الصلاة والسلام سئل: أيّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك»، قيل: ثمّ أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك»[1]: أن يزاحمك في اللّقمة، وهؤلاء لا يريدون لذرّيتهم أن تزاحمهم، يريدون أن يستمتعوا بالحياة وحدهم، فلا عجب أن يتناقص نسلهم[2].

كنت في فرنسا في هذا الصيف، فوجدت الفرنسيّين يشكون من تناقص النسل وتكاثر المسلمين هناك، هناك أكثر من أربعة ملايين مسلم من أبناء الشمال الإفريقي والسنغال وغيرها من البلاد التي كانت مستعمرات فرنسيّة من قبل، هؤلاء يتكاثرون وأولئك يتناقصون، فهم يقولون إنّه لو استمرّ الحال على هذا لأصبحنا بعد عقود قليلة من السنين ونحن أقليّة، وصار هؤلاء أكثريّة! فهم يخافون من المسلمين داخل بلادهم، ويخافون منهم خارج بلادهم، لأنّ الشعب الإسلامي شعب ولود.

ومن قديم قال أحدهم في كتابه (الإسلام قوّة الغد العالميّة): إنّ المسلمين لهم المستقبل. وجعل من أسباب هذا: كثرة النسل بين المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في كتاب (الأدب) من صحيحه، باب: (قتل الولد خشية أن يأكل معه)، كما أخرجه في كتاب (الحدود) باب: (إثم الزناة)، وكتاب (التوحيد) باب: (قول الله تعالى: فلا تجعلوا لله أنداداً)، وتتمته: قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك».

(٢) بل تشير الوثائق إلى أن هناك بلداناً أوروبيّة مهدّدة بالفناء التام خلال أقلّ من نصف قرن، إذا استمرت معدّلات النموّ السكاني فيها تتناقص كما هو الحال الآن.

هؤلاء يخشون من تزايد العالم الإسلامي.. من تزايد المسلمين في العالم، وقبل سقوط (الاتحاد السوفياتي) كانوا يخوّفون من كثرة المسلمين هناك، وأنّه بعد مدّة قليلة سيصبح المسلمون هم حكام الاتحاد السوفياتي، ولعلّ هذا ما جعلهم يعجّلون بسقوطه، خشية أن يؤول في النهاية إلى المسلمين.

توزيع الثروة بين العالم المتقدّم والبلاد النّامية:

ثمّ هؤلاء الذين يربطون بين زيادة السّكّان والفقر، لماذا لا يذكرون سوء استهلاك الثورة في العالم وسوء توزيعها؟ الأمم المتحدة تقول: إن (٢٥٪) من السكان يعيشون في العالم المتقدم، أو العالم الغربي، أو العالم الأوّل كما يسمّونه، والأكثريّة تعيش في العالم الثالث، ولكن (٢٥٪) تستهلك من موارد العالم (٧٥٪): (٨٠٪) من الأخشاب، و(٧٠٪) من المعادن، و(٦٠٪) من الغذاء.. الخ، هكذا يستهلك العالم الغربي.

في أمريكا وحدها نشرت الصحف: إنّ المسكرات والمخدّرات والخمور وهذه الأشياء يُنفق عليها وحدها سنوياً: (٢٥ بليون دولار)!.

أمّا ما ينفق على التسليح فهو بمئات المليارات، لماذا لا يوفّر هذا لتنمية العالم، وتنمية الدول الفقيرة؟.

تطويق العالم الثالث بالديون المرهقة:

إنّ العالم المتقدم... العالم الغربي... العالم الأوّل، المسرف في استهلاكه، المتمع بلذاته، طوّق العالم الثالث.. العالم الفقير.. العالم الكادح، طوّقه بأغلال من الديون، أنهكته وأرهقته وجعلته يلهث من أجل أن يعطي فوائد الديون (الربا).

الدول المدينة بالمليارات وعشرات المليارات تلهث وتتعب من أجل أن تسدّ الفوائد، أمّا أن تسدّد الأقساط فهيهات هيهات.

لم يكف العالم الغربي ما نهبه من خيرات هذا العالم في آسيا وأفريقيا في

أيام الاستعمار ـ نهب الثروات وأقام بنيته الحضاريّة هناك: الطرق والمؤسسات والسكك التي تحت الأرض وغيرها من الأشياء التي أقامها من هذه البلاد التي يحتلّها، واستنزف خيراتها ومواردها ـ لم يكفه هذا فبدأ يشتري المواد الخام منها بأرخص الأسعار، ثمّ يصنّعها ويعيدها إليها بأغلى الأسعار.

وهناك الناس لا يستطيعون أن يقوموا بمشروعات التنمية فيحتاجون إلى الاستدانة ويمدّون اليد إلى هؤلاء، ومعظم هذه الديون تعود إليهم في صورة أخرى، لأنّهم يعطون الديون في صورة أدوات مستهلكة، وفي صورة خبراء من عندهم، وفي صورة أشياء يستغنون عنها، ولكن على هذه الدول أن تسدّد خدمة الدَّين (الأقساط والفوائد) فلا تستطيع أداء الأقساط فتسدّد الفوائد.

وكثيراً ما تستدين من جديد لتوفّي الدَّين القديم، فمتى يمكن أن توفّ وقد قال الشاعر قديماً:

إذا ما قضيت الدَّين بالدَّين لم يكن قضاء، ولكن كان غرماً على غرم؟!

هذه هي حالة هذا العالم الثالث والعالم الإسلامي، أمام العالم المقتدر المتمكّن، الذي يريد أن يفرض نفسه ويفرض وصايته على هذا العالم، متجاهلاً دياناته، متجاهلاً شرائعه، متجاهلاً قيمه وأخلاقه.

لا، لا ينبغي أن نستسلم لهذا.

إنّنا مسلمون، وإسلامنا يفرض علينا أن نعتزّ بشخصيّتنا، وأن نعتزّ بإيماننا، وأن نعتزّ بقيمنا، وأن نعتزّ بأحكام شريعتنا، ولا نفرّط فيها، ولا يملك المشرق والمغرب: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

● الخطبة الثانية:

أمّا بعد:

فقد ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخيرإلاّ استجاب له، ولعلّها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شر.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم أكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنّا وأرضنا.

اللهم جنّبنا كيد الكائدين، ومكر الماكرين، وانصرنا على القوم الكافرين. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥ ـ ٨٦].

اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، وانصر إخوتنا في البوسنة والهرسك، وانصر إخوتنا في كشمير، وانصر إخوتنا في الصومال، وانصر إخوتنا في سائر بلاد الإسلام.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم ردّ عنّا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المسلمين.

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنّا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مُطْمَئِناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *